ومداواة هذه اللسعات بقطرة من صبغة اليود او الكحول القوية. والواجب ان يُعمل على اتلاف هذه الحشرات في مهدها. ولا نظنّ انّ احدًا من قرائنا يجهل ان البعوض يستفرخ في المستنقعات والمياه الآسنة وغير الجارية. فانّ الماء وهو عنصر الخصب والجمال والحياة يُصبح أداة المرض والموت اذا سُكن واستنقع

(لها بقية)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

اخبار بيروت منذ ظهور الاسلام الى القرن التاسع عشر

البحث الاول

بيروت في عهد العرب

كان تأثير الزلازل في بيروت مؤلمًا فبقيت عدّة سنين طامسة المحاسن كاسدة الاسواق تُرى في انحائها آثار الخراب والحريق. على انّ ملوك الروم والباقين من اهلها لم يشاؤوا ان يهملوها ولبيروت ما لها من حُسن الموقع برًّا وبحرًا ومن الخواصّ الممتازة ادبًا واقتصادًا. فاخذوا في اواخر القرن السادس يهتمّون لاصلاح مبانيها وتجديد ما

دثر من ابنيتها . فما لاح نور القرن السابع حتى عادت لها مسحة من بهائها السابق واستؤنفت فيها المعاملات التجارية

فكان البيزنطيون يعقدون الامل على رجوع وطنهم الى الرقي التام لولا ما حصل وتتذبذ في دولة الروم من الاضطرابات في عهد ملوكهم موريقيوس (٥٨٢—٦٠٢) وفوقاس (٦٠٠—٦٠٢) وهرقل (٦١٠—٦٤١) فانتهز ملكا الفرس كسرى انوشروان سنة (٥٧٨) ثم كسرى أبرويز (٦٠٦—٦٠٧) فغزوا بلاد الشام وفلسطين ونهبا وحرقا وسبيا ولم تهدأ الامور الى ان ظفر بهم هرقل الملك بعد حرب عوان (٦٢٢—٦٢٨) وعاد السلام للبلاد . وكانت فينيقية في تلك السنين اسعد حظاً من سواها لعدول الفرس الى حواضر المدن في الداخلية كحلب وانطاكية ودمشق والقدس . وكان يتولى على فينيقية من قبل ملك الروم البطريق نيقيطباس فتصرف بالفطنة والحزم فنجت بهمته سواحل الشام ومن جملتها بيروت من تلك النكبات الهائلة

على ان هذا السلام لم تطل مدته . وما لبث العرب في عهد عمر بن الخطاب ان انبثوا في ارض حوران ثم في فلسطين ثم في الشام تحت قيادة خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان ففتحوا تلك البلاد وتقدموا الى دمشق فاستولوا عليها في ايلول سنة ٦٣٥ وبعد واقعة اليرموك دخلوا الى نواحي سورية الشمالية وتملكوا على اورشليم (٦٣٧)

اما بيروت وسواحل الشام فقال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٢٦) : « ان يزيد (بن ابي سفيان) انى بعد فتح مدينة دمشق صيداء وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من اهلها . ثم ان الروم عادوا فغلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب واول خلافة عثمان بن عفان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رممها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع . اما الواقدي فروى في كتابه فتوح الشام (طبعة مصر ٢ : ٥٢) عند ذكره فتح مصر على يد عمرو بن العاص ان عمراً دخل القيسرية يوم الاربعاء في العشر الاول من رجب سنة ١٩ للهجرة (٦٤٠م) ووصل الخبر الى الرملة وعكة وعسقلان وقيسارية وطبرية فعقدوا كلهم صلحاً مع المسلمين وكذلك اهل بيروت وجبلة واللاذقية ومالك الله الشام للمسلمين »

وقسّم العرب بلاد الشام الى خمسة أجناد كالعواصم والسواحل وهي دمشق وحمص وقنسرين والاردن وفلسطين وقسموا كل جند الى كُوَر. وكانت بيروت كورة منوطة بجند دمشق

وبقي معظم اهل بيروت مدّةً طويلةً كاهل المدن الساحليّة من النصارى الوطنيين بينهم بقايا من الروم. فاراد معاوية ان يحصّن المدينة في وجه الاعداء فاستدعى قوماً من الفرس ليستوطنوا تلك المدن. ولنا شاهد على الامر في ما كتبهُ الجغرافي العربي اليعقوبي في كتاب البلدان قال (ص ٣٢٠ من طبعة ليدن) يذكر جُند دمشق: «والجند دمشق من الكوَر على الساحل كورة عَرْقة . . . فيها قوم من الفُرس . . . ومدينة أطرابُلس واهلها قوم من الفرس . . وجُبيل وبيروت وصيدا. واهل هذه الكُوَر كلها قومٌ من الفرس نَقَلَهم اليها معاوية بن ابي سفيان». ولا شكَّ ان المتاولة الشيعيّين والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرّيّة هؤلاء الفرس

وقال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٢٣): «ثمّ صار المسلمون يتكاثرون فيها (اي في بيروت) والروم يتلوّن منها وقتاً بعد وقت حتى صار اكثر اهلها مسلمين»

وليس لنا من اخبار بيروت في ايام الدولة الرومانيّة الّا اليسير الّذي رويناه هنا كما وجدناهُ في تواريخ العرب وفي اسفار رحّالهم واوصافهم للبلدان. فمن ذلك ما رواهُ ابو جعفر الطبري في ذيل المذيّل في تاريخ الصحابة والتابعين (الجزء الثالث ص ٢٥١٤) عن الاوزاعي قال: «هو عبد الرحمان بن عمرو ويكنّى ابا عمرو قيل له الاوزاعي لانتسابه الى الأوزاع وهو بطن من هَمْدان وكان يسكن بيروت ساحل من سواحل الشام وكان في زمانه احد مفتي تلك الناحية ومحدّثيهم وذوي الفضل منهم وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ (٧٧٣ م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة. وزاد صالح ابن يحيى افادةً في تاريخ بيروت فقال عنه (ص ٢٣—٢٤): «الاوزاعي هو امام اهل الشام وعالمهم قيل انه اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعمل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة . . . وكان عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من امر السلطان . . . وكان مولدهُ ببعلبك سنة ٨٨ هجرية ٧٠٧ مسيحية) وقيل ٩٣ هجرية (٧١٢ م). ومنشأه بالبقاع ونقلَتْهُ أمهُ الى بيروت فرابط بها الى ان مات»

وقبره على ما افاد ابو الفدا في تاريخ سنة وفاته (ج ٢ ص ٧) في قرية على باب بيروت يقال لها خنتوس (ويروى حنتوش) وهو في عهدنا مزار بخارج المدينة جنوبيها الغربي. ويقول علماء المسلمين انه كان يدرّس في الزاوية المعروفة باسمه حتى الآن جنوبي السوق الطويلة وهناك سبيل أُنشئ سنة ٩٣٥ه (١٥٢٨م) تذكارًا له

ثم ذكر صالح ابن يحيى ابنه محمد ولد الاوزاعي قال: «انهُ كان عابدًا قانتًا وكان يُظَن فيهِ انهُ من الأبدال(١ عاش بعد ابيهِ عشرين سنة». وألحق بالاوزاعي وبابنهِ بعض الزهاد الذين عبدوا الله في بيروت او امتازوا بعلومهم الدينية. كالوليد بن مَزْيَد العُذْري المولود سنة ١٢٦ه (٧٤٤م) المتوفى سنة ٢٠٣ه (٨١٨م) وكابي الفضل العباس ابن الوليد البيروتي المولود سنة ١٧٩ه (٧٩٥م) والمتوفى سنة ٢٧٠ه (٨٨٣ م) وكابي مُسْهر البيروتي وعبد الله بن اسماعيل البيروتي ومحمّد بن عبد الله البيروتي المعروف بمكحول الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٢١ه (٩٣٣م)

وفي اواسط القرن الرابع للهجرة ذكر الاصطخري بيروت في كتابهِ مسالك الممالك (ص ٦٥ من طبعة ليدن) بقولهِ: «بيروت مدينة على شطّ بحر الروم خصبة (ويروى حصينة) من عمل دمشق بها كان مقام الاوزاعي»

واتّبع معاصرهُ ابن حوقل في وصف بيروت في كتابهِ المسالك والممالك. واحسن في تعريف بعض خواصها وطباع اهلها قال (ص ١١٦): «بيروت على ساحل بحر الروم... وبها يُرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها يفزعون عند استنفارهم وليسوا كاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دُعي الى الخير اجاب واذا ايقظهُ الداعي انتاب. وببيروت هذه كان مقام الاوزاعي وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلّات متوفرة. وتجارات البحر عليها دائرة وسابلتها غير منقطعة. حصينة خصيبة متينة السور رخيصة الاسعار جيّدة الاهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامّة امورهم». فنِعم الوصف ويحق بهِ للموصوفين الافتخار ومنهُ يلوح انّ بيروت اصبحت في القرن العاشر للمسيح من أمهات المدن

واجتاز في بيروت رحّالةٌ عجميّ اسمهُ ناصر خسرو العلويّ سنة ١٠٤٧ للمسيح فقال عنها في كتاب رحلتهِ سفرنامه (ص ١٣) ما تعريبهُ: «وسرنا من جُبيل الى بيروت

١) اطلب مقالة في واسمة الأبدال في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ١٩٦-٢٠٤)

حيث رأيت قنطرة من حجر تمتدّ الطريق فوقها فقدّرتُ انّ علوّهـا خمسون كزّاً (١ وجانبا القنطرة مبنيّان بحجارة بيضاء ضخمة تثقل الحجر نحو الف منّ (٢ وعن يمين القنطرة وشمالها اسطوانتان من الآجرّ علوّهما عشرون كزّاً . وفوق الاسطوانتين عمودان من الرخام علوّ العامود ثمانية اكزاز لا يكاد رجلان ان يُلفّا على العامود ذراعيها الضخمة . وكانوا بنوا على هذين العامودين قناطر من الحجارة الكبيرة دون الملاط ولا كلس . والقنطرة الكبيرة هي في وسط هذه القناطر وهي تعلو فوقها نحو خمسين آرشاً (٣ وعلى ما اظنّ يبلغ علو كل حجر من تلك القنطرة سبعة آرش في عرض اربعة منهُ وثقلهُ نحو سبعة آلاف منّ . وكل هذه الحجارة منقوشة بنقوش غاية في الدقّة واللطف قلّما يُرى مثلها في المصنوعات الخشبية . ولم أرَ في جدار هذه البناية بناء آخر غيرها . وكان جواب الذين سألتهم عن خبر هذه القناطر انها عريقة في القـدم وتُدعى باب بستان فرعون . والسهل الذي يحيط بهذا الاثر فيه عدد لا يُحصى من الاعمدة ورؤوس الاكلّة من الرخام المنقوش بعضها مربّعة وغيرها مسدّسة او مثمنـة الزوايا . والحجر غاية في الصلابة لا يعمل فيهِ الحديد . وليس في جوار المكان مقلع يُستدلّ منهُ على انهم استخرجوا منهُ

«وهناك حجر آخر ناصع كان مركّباً تركيباً صناعياً لا يؤثر فيه ايضاً الحديد . وفي بلاد الشام ترى الدواري والاعمدة ورؤوس الاكلة ملقاةً في كل مكان وعددها يزيد على ٥٠٠،٠٠٠ قطعة لا يعلم احدٌ ماذا ارادوا من جمعها ولا من اين اتوا بها»

في وصف ناصر خسروا السابق ترى انّ الابنيـة العديدة التي كان الرومـان والهيرودسيون الثلثة بنوها في بيروت وجيزتها لم تُطمس آثارها بعدُ وإن خفي عنهم الغرض من وضعها اما القناطر التي ذكرها فلم نتحقق اين كان موقعها افوق نهر ابرهيم ام نهر الكلب ام نهر بيروت

هذا مُجمَل ما ورد عن وصف بيروت في عهد الخلافتين الاموية والعباسية . اما اخبارها السياسية فهي دون ذلك . وانما زعم البعض انهم وجدوا عنـد الامراء الارسلانيين كتاباتٍ تُروى فيها مآثر لاجدادهم منها انّ جدّهم الاعلى الذي ينتمون

١) كان يساوي الكزّ عند العجم مترًا و ٢٥ سنتمترًا
٢) كان وزن المنّ كرطلنا الدوري تقريباً
٣) الآرش كالذراع

اليه الامير ارسلان بن مالك اللخمي جرت له وقائع عديدة مع المرّدة الذين وكّل اليهم ملوك الروم حراسة لبنان وانهُ توفي في سنّ الفيل سنة ١٧١ه (٧٨٧م)

وكذلك رووا عنهم قدوم مراكب للروم الى بيروت سنة ١٨٥ ه (٨٠١ م) فغزوا ساحلها واستأسروا عند مقام الاوزاعي اميرًا من الارسلانيين اسمهُ عمر ابن الامير ارسلان. وبقي عندهم حتى فداهُ بعد ثلاث سنوات القاسم ابن هارون الرشيد

ورووا ايضاً ان الامير النعمان بن عامر الارسلاني تولى بيروت وصيدا وجبلها بامر ماجور التركي سنة ٢٥٧ه(٨٧٢م) فبنى في بيروت دارًا عظيمة وحصّن صور المدينة وقلعتها ثم حارب مَرّدة لبنان فجرى بينهُ وبينهم قتال عظيم على نهر بيروت سنة ٨٧٥ في خلافة المتوكل العباسي. ويقال هناك انّ هذا الامير ردّ هجمة الفرنج سنة ٣٠٣ه (٩١٥م) وكانوا نزلوا من سفنهم في رأس بيروت فسار اليهم واسر منهم ثمانية رجال وقتل ستّة ثم فاداهم على من اسروهُ من المسلمين . وفيها ايضاً ان احمد ابن محمّد بن ابي يعقوب ابن هارون الرشيد مرّ مع اسرتهِ في بيروت فاستقبلهُ الامير نعمان المذكور وخطب ابنتهُ السيدة كلثوم لابنهِ الامير منذر فزفّها اليهِ . وكانت وفاة الامير نعمان سنة ٣٢٥ه (٩٣٦ م) وعمره ٩٨ سنة توفي في بيروت وبها دُفن ثم خلفهُ في ولايتهِ ابنهُ المنذر ولُقّب سيف الدولة

هذه المنقولات وردت في اوراق مصونة كما يقال عند الامراء بني ارسلان ولم يمكنّا ان نتثبّت صحّتها بعَرْضها على غيرها من التواريخ فرويناها على علّاتها . وما هو اثبت ركناً واقوى سندًا انّ بيروت دخلت مع بقية بلاد الشام في حكم دولة بني طولون المصريّة سنة ٢٦٤ه (٨٧٧م) ثم خلفت الطولونيين دولةُ الاخشيديين سنة ٣٢٣ ه (٩٣٥م) فاستولت على دمشق وجندها مدة بضع سنوات

وفي عهد الدولة الاخشيدية غزا الروم بلاد الشام وكان ملكهم يوحنا زيمِسكس (Jean Zimiscès) الذي يدعوه العرب بالشمشقيق فاخذ دمشق بالامان وسار الى سواحل الشام فنزل على صيداء وانصرف عنها على سلم ومرادعة. قال ابن القلانسي في تاريخهِ المعروف بذيل تاريخ دمشق (ص١٤) : «ثم انتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهلهُ عليهِ فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبهُ وسبى السبي الكثير منه» . وكان ذلك سنة ٣٦٤ه(٩٧٤م) . وبعد سنتين استرجعها جوهر القائد وولّى عليها هفتكين التركي

صاحب دمشق الامير درويش بن عمر الارسلاني ثم عزله منجوتكين خلف هفتكين وولّى مكانه الامير منصور

ثم انقلب الدهر على الدولة الاخشيدية وصار الامر لدولة الفاطميين وبعد ان فتحوا مصر ارسلوا جيوشهم الى الشام فملكوها سنة ٣٨٤ه (٩٩٤ م) ولحقت بها سواحل الشام وفي جملتها بيروت. فصار الخلفاء الفاطميون يحاولون عليها غمّالهم ففي السنة ٤٠٥ه (١٠١٤م) تولى على بيروت فتح احد غلمان صاحب حلب ابي نصر لؤلؤ من قبل الحاكم بامر الله وتلقّب مبارك الدولة وسعدها

واقطعهُ الحاكم بأمر الله مع بيروت صور وصيدا. قال صالح بن يحيى (ص ٢٦) وكان ارتفاع الثلاثة اماكن المذكورة ثلثمائة الف دينار. وهذا دليل واضح على خصب بيروت وحسن تجارتها في ذلك الوقت

وفي السنة ٤٣٥ه (١٠٤٣ م) ولي عليها ابو سعيد قايوس من قبل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وفي السنة ٤٤٨ه (١٠٥٦م) اقطع المستنصر بالله عكّة وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة ابن مرداس صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ لكنّ تارب ابن مرداس استرجعوا منهُ حلب فاستعاد المستنصر المدن الثلاث. قال صالح ابن يحيى: «وكان الذي يجري على دمشق يأتي السواحل»

اما احوال النصرانية في بيروت في ايام دولتي العرب الاموية والعباسية فلا نكاد نعرف منها شيئاً. وانما يذكر التاريخ من اساقفتها في تلك الحقبة المسمّى توما من اساقفة الروم المتحدين مع الكرسي الروماني كان في القرن التاسع للمسيح على عهد فوطيوس حضر المجمع الثامن المسكوني الذي اجتمع في القسطنطينية سنة ٨٦٩ وحكم على هذا البطريرك بجلوسه على الكرسي القسطنطيني بعد حكمهِ ظلماً على القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي. ومسّن وقّعوا على اعمال المجمع «توما اسقف بيروت» ثم نُقل توما المذكور الى رئاسة اساقفة صور وفي المجمع يقال انهُ كان نائباً عن رئيس اساقفة انطاكية خلوّ هذا الكرسي وتقدّم من صاحبه

وقد اشتهر على عهد العرب في الكنيسة اليونانية احد ابناء بيروت وهو الشمّاس زوسانوس المرتل كان معاصراً للقديسين يوحنا الدمشقي واندراوس الكريطشي واشتهر مثلهما بتأليف القسابيح التقوية بالشعر اليوناني كان مولدهُ في بيروت وخدم كنيستها

برتبة شماس ثم انتقل الى القسطنطينية وفيها صنف تراتيلهُ الكنسيّة الفصيحة البليغة الدالّة على جودة قريحتهِ وعظم تقاه (لها بقيةٌ)

السونة حشرة الغلاّت في البقاع

نظر علمي ادبيّ لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

ظهرت هذه الحشرة المفسدة في اوائل الصيف فانتشرت بسرعة في انحاء البقاع فعاثت في مزارعها وكادت تذهب بكافّة اتعاب الفلاح وتعدمهُ معاشهُ بفتكها بغلّاتهِ . فسألنا البعض ان نذكر على صفائح المشرق ما يُعرف من امرها

﴿اسمها ووصفها﴾ اسم «السونة» بالعربيّة لا ذكر لهُ في المعاجم وانّما هو شائع بين الزرّاعين . ولعلّ اصل الكلمة سرياني (ܫܢܝܢܐ) اي الانقلاب والتبدُّل دلالةً على تطوُّرات هذه الحشرة . امّا علماء النبات الاوربيون فيدعونها «Eurygaster Maurus» فالاسم الاوّل مركّب من كلمتين يونانيّتين معناهما «الواسعة البطن» لهيئة بطنها والاسم الثاني علَم الرجل الذي ميز جنسها فنُسبت اليه . وهذه الحشرة من فصيلة الحشرات الكبرى المعروفة بالنصف جناحيّة (hémiptères.) وفي فصيلتها تدخل الفسافس (البقّ) باشكالها سواء كانت مجنحة او غير مجنحة كالبقّ الاهلي . والسونة من النوع المجهّز بترس وترسُها هذا يتألف من صفيحة دَرَقيّة الشكل تغطّي صدرها وتمتدّ الى بطنها فتستره امّا جزئيًا واما تماماً

وللسونة اذا بلغت كمالها اربعة اجنحة كسائر الحشرات النصف جناحيّة . وهذه الاجنحة عند سكونها مطويّةٌ فوق بطنها ويغطّيها الترس الذي مرّ ذكرهُ لا يبين منها سوى طرفها المستدقّ الملوّن ويبقى معظمها مغطّى بالترس وهذه الاجنحة تتركّب من مادّة شفّافة لا يكاد النظر يفرزها لعدم لونها اذا ما بسطتها الحشرة . والجنس الذي نحن بصدده يغطي الترسُ سائر بطنهِ حتى انهُ لاوّل وهلة يظهر كانهُ قسمٌ منهُ ولونهُ اصفر ضارب الى الرمدة تقاطعهُ بعض خطوط اشدّ نصوعاً لكنها قليلة البروز . وعند اسفل الترس المذكور في نقطة اتصاله بالصدر نُكتتان تختلفان صفاء في افراد الجنس

﴿اصناف الحشرة واخلاقها﴾ وهذه الحشرة التي ظهرت في البقاع تشبه تقريباً